

الحسين عليه السلام ربيب رسول الله ﷺ ووارثه

(زيارة الأربعين)



الهدف:

بيان مرحلتين من حياة الإمام الحسين وهما تربيته في حضن جده وإرثه عمامته

تصدير:

قال تعالى ﴿فهب لي من لدنك ولياً

يرثني﴾

محاوَر الموضوع

- الفصل الأول: الحسين ربيب جده
- أ. الوحي يهتئ ويعرى
- ب. حضانة فريدة
- ج. الحسين في كنف الوحي
- د. سبع سنوات
- الحسين عليه السلام وارث جده

مقدمة:

قال زيد بن أرقم: «قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً بماء يدي خماً بين مكة والمدينة..... أيها الناس.... أتارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله.... وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي.... فقلنا من أهل بيته، نساؤه؟ قيل: لا، وإيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله حرموا الصدقة بعده، هم آل علي عليه السلام»^(١)

الفصل الأول:

الحسين ربيب جده

الوحي يهتئ ويعرى النبي ﷺ بولده الحسين عليه السلام: جرت العادة أن الناس يقدمون التهنية عند الولادة ويقدمون التعازي عند الوفاة ويتم الأمران عقيب تحققهما، إلا الحسين عليه السلام فإن النبي ﷺ تلقى التهنية الإلهية والتعزية بولده دفعة واحدة وفي فترة مختلفة عن زمني الولادة والإمامة وإن كان متعلق التعزية واحد وهو الموت إلا إن

متعلق التهنية إثنان وهما الحمل به ثم الولادة وقد تمت الإشارة إلى هذه المعاني في كتاب المناقب.^(٢)

• الولادة الميمونة:

يوم الثلاثاء أو الخميس لثلاث خلون من شعبان أو لخمس منه سنة ثلاث أو أربع أو خمس بالمدينة المنورة أشرقت الأرض بولادة سبط رسول الله الإمام الحسين عليه السلام^(٣) وكان وجه الحسين بن علي يشبه وجه رسول الله ﷺ وكان جسد الحسين عليه السلام يشبه جسد رسول الله ﷺ.^(٤)

• حضانة فريدة:

وضعت فاطمة عليها السلام وضعا مباركا من رحم مطهر فتلقته يد الإمامة لتضعه في الحضن حيث يجب فكان حجر النبوة، فأذنت في اليمنى ثم أقامت في اليسرى واستعيض عن تحنيكه بشيء من التربة بأطهر وأصدق لسان وهو لسان جدّه المصطفى محمد عليه السلام وأنظف وأكثر الأنامل أمانة حيث مصّ إبهامه الشريف لينبت لحمه، «وفي خبر... قال لعلي عليه السلام: «بأي

شيء سميت ابني قال: ما كنت أسبّك باسمه يا رسول الله، قد كنت أحب أن أسميه حرباً فقال النبي ﷺ: ولا أسبق أنا بإسمه ربي....»^(٥) ثم هبط جبرائيل حاملاً من الله لمحمد السلام والتهنئة وقال له: «إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى فسمه باسم ابن هارون قال النبي ﷺ وما اسمه؟ قال: شبير، قال لساني عربي؟ قال: سمه الحسين فسماه الحسين عليه السلام»^(٦)

• الحسين في كنف

الوحي:

عناية الوحي وعالم الملائكة بالحسين لم ولن تحصل لأي شخص آخر من لدن آدم وإلى يوم القيامة، فمما ذكرناه سابقاً من التهنية من لحظة الحمل الأول إلى الولادة إلى حمل الاسم من الله سبحانه وتعالى ويضاف إليها ما جاء في بعض الكتب التاريخية منها أن جبرائيل قدّم بعض زغب جناحه عربون محبة لسبطي الرسول فاتخاذها تعويذتين^(٧)

ومنها ما عن ابن عباس قال:

(٢) المناقب، ج٤، ص٥٠

(٣) حسب اختلاف المصادر وهي كثيرة كإعلام الوري وابن عساکر ومقتل الحسين وسيرة أعلام النبلاء وكشف الغمّة وغيرها

(٤) ابن عساکر، ج٧، ص١١٧

(٥) بحار، ج٤، ص٢٣٩

(٦) بحار، ج٤، ص٢٣٨

(٧) ابن عساکر، ج٧، ص١٢١

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، ج٥، ح

«لما ولد الحسين ﷺ أمر الله جبرائيل أن يهبط في ألف من الملائكة فيهنئ رسول الله ﷺ، وزادت الأخبار أن أحد الملائكة اسمه (فطرس) وقد عوقب بالنفي فانضم إلى الوفد الملائكي طائبا من النبي الشفاعة الذي سأل الله تعالى أن يعتقه للحسين فاستجيب له وكان يتخمر ويقول من مثلي وأنا عتيق الحسين ﷺ»^(١)

ومنها أنه كان جبرائيل يناغي الحسن ويهدد مهد الحسين وقد ورد في ذلك أن جبرائيل هبط إلى بيت النبوة ووجد الزهراء ﷺ نائمة والحسين يبكي فأخذ يناغيه ويلهي عن البكاء حتى استيقظت الزهراء فأعلمها الرسول ﷺ بذلك^(٢). إلى ما رواه جمع من علماء الفريقين «اعترك الحسن والحسين فقال النبي ﷺ: إياها حسن خذ حسينا فقال علي ﷺ: يا رسول الله على حسين تؤذبه وهو أكبرهما؟ فقال ﷺ: هذا جبرائيل يقول: «إياها حسين خذ حسنا»^(٣). هذا يتعلق بمرحلة الولادة وأما مرحلة الشهادة فقد نقل ابن عساكر ما يقارب الثلاثين حديثاً حول إخبار جبرائيل بشهادة الحسين جده المصطفى ﷺ.

• سبع سنوات:

ترعرع الحسين ﷺ في حضن جده سبع سنوات كانت زاخرة بالعناية واللطافة والرعاية والتعليم فأضحت روايات وقصص يتناقلها الصحابة ونساء النبي ﷺ إلى الأجيال اللاحقة الحسين وأخوه

الحسن على منبر جدهما وهو يخطب وهما على ظهره وهو ساجد وهما على عاتقه وهو ماشي وبحق هو ربيب بيت النبوة ويكفيه فخراً وكرامة، ونختم الفصل الأول بما رواه أحد الصحابة قال: «كان الحسين عند رسول الله ﷺ وقد أمسينا فقال له: إذهب إلى أمك، فهاب فقالت: الصحابي أذهب معه؟ قال ﷺ لا، فجاءت بركة من السماء، فمشي في ضوئها حتى بلغ أمة»^(٤)

الفصل الثاني:

الحسين وارث جده

قال الله سبحانه تعالى حكاية على لسان زكريا ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضياً﴾^(٥). وقد روي عن زينب بنت أبي رافع عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أنها أتت أباهما بالحسن والحسين في شكواه التي مات فيها، فقالت: تورثهما يا رسول الله شيئاً؟ فقال ﷺ: أما الحسن فله هيبتي وسؤددي وأما الحسين فله جرأتي وجودي^(٦) وفي رواية بحار الأنوار^(٧) «فإن له شجاعتي وجودي».

الإمام الحسين ﷺ هو ابن رسول الله كما جاء في بعض الروايات والزيارات وقد صرح النبي ﷺ بقوله: «حسين مني» فكذلك هو وارث جده على مستوى الصفات والمهام فأما الصفات فقد اشرنا إليها آنفاً وأما المهام فقد عبرت عنها بعض الزيارات منها زيارة الأربعين حيث جاء فيها «اللهم إني أشهد أنه وليك وابن وليك وصفيك

وابن صفيك وأعطيته مواريث الأنبياء وجعلته حجة على خلقك من الأوصياء» مما لا شك فيه أن الإرث هنا هو إقامة الحجة عليهم والدفاع عن رسالة السماء التي أعطيت لكل الأنبياء والرسل على مر التاريخ. ويتجلى هذا المعنى جيداً عند تصفح التاريخ بتأني، فبعد رحيل خاتم الأنبياء محمد ﷺ انقلب القوم على أعقابهم متقمصين الخلافة مع علمهم بقطب الرحي وبعد تداولها بينهم إلى حين قيام الطلقاء وأبناء الطلقاء فألت إليهم وتحولت الخلافة إلى قيصرية وكسروية وغدت كرة يتقاذفها بنو أمية بعد أن أضحوا أوتادها منكرين للوحي مكذبين الرسول إلى غير ذلك من المثالب وقد لخص لنا المقرئ أعمالهم بقوله «بنو أمية هدموا الكعبة وجعلوا الرسول دون الخليفة، وختموا في أعناق الصحابة، وغيروا أوقات الصلاة ونقشوا كُفَّ المسلمين، ومنهم من أكل وشرب الخمرة على منبر رسول الله ﷺ، ووطئوا المسلمات في دار الإسلام بالبيع»^(٨)

هذا الواقع الذي لم يبق من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه كان يحتاج إلى شجاعة وجرأة وتضحيات خطيرة تمنع الفساد وتزليه من الواقع الاجتماع فكان ولا بد من الدماء الزاكية لسبب الرسول الإمام الحسين ﷺ وبذلك عادت الرسالة إلى وضوحها وأحكامها إلى نصابها، فكانما بعث النبي من الجديد ليصحح ويستكمل رسالته ولذا كان الحسين وارث جده وبحق قوله ﷺ: «وأنا من حسين».

(٤) ابن عساكر ج٧، ص ١٢٢ / سيرة أعلام النبلاء، ج٣، ص ٢٨٢
(٥) مريم، ٦٠
(٦) كنز العمال، ج٩، ص ٣٧٧٠٩
(٧) بحار ج٤، ص ٢٦٣

(١) المناقب، ج٤، ص ٧٤
(٢) المناقب، ج٤، ص ٧٥
(٣) اسد الغابة، ج٢، ص ٢٠ / اعلام الوری، ص ٢٦٥ / ابن عساكر، ج٧، ص ١٢٢ / كشف الغمة، ج٢، ص ٢١٩ وغيرها